

النظريات التكوينية

النظرية العضوية :

أجرى (لومبروزو) مجموعة من الفحوص والدراسات على بعض المجرمين الأحياء والأموات بهدف الوصول إلى نتائج وأدلة تسمح له التمييز بين المجرم والأنسان السوي وقد أجريت أبحاثه على 383 جمجمة لمجرمين موتى وحوالي 5907 مجرم على قيد الحياة وكان المنهج المستخدم لتجاربه .استنتج لومبروزو أن المجرم إنسان بدائي يتميز بملامح خاصة توفرت فيه عن طريق الوراثة، وأنه مطبوع على الإجرام ومما أكد فكرة (الإنسان المجرم) عند لومبروزو أنه عندما قام بتشريح جثث المجرمين وجد فراغا في مؤخرة الجبهة يشبه الذي يوجد عند القرده، مما حدا به إلي القول بأن المجرم إنسان بدائي والعديد من النقاد يعتبرون ذلك تأثرا واضحا) التطورية) التي وضعها داروين مما أقنع لومبروزو بأفكاره هو ملاحظاته في أثناء عمله في الجيش الإيطالي أن الجنود المشاكسين ينفردون بخصائص غير موجودة في غيرهم من الجنود الطبيعيين الهادئين، فقد كان هؤلاء المشاكسون يعتادون وشم أجزاء من أجسامهم بصور مخلة للأدب، وكتابات ماجنة، وعند تشريح جثث بعض المتوفين منهم لاحظ وجود عيوب في التكوين الجسماني لهم

ومما أشار إليه (لومبروزو) أيضاً أن السبب الأساسي للسلوك الإجرامي إنما يرجع إلى ما أسماه (بالاندفاع الخلقي) الذي يكون متأصلاً في تكويني المجرمين فيولدون به، وبالتالي يصعب على الظروف البيئية مهما كانت أن تغير من هذا القدر الذي لا خلاص منه.

قد وجد لومبروزو مجموعة من الصفات تشبه صفات الحيوانات البدائية والتي تعود للإنسان غير المتطور، وقال بأن توفر خمس صفات أو أكثر من هذه السمات الجسدية يجعل الفرد خاضعا للنمط الإجرامي التام، وإذا توفر لديه ثلاث صفات يكون من النمط الإجرامي الناقص، وإذا قلّت هذه الصفات عن ثلاث فليس من الضروري اعتباره مجرماً. وهذه الصفات لا تكون سببا في الجريمة بقدر ما تعني ارتداد صاحبها إلى النمط المتوحش البدائي، هذه الصفات هي

- طول أو قصر غير اعتيادي.
- رأس صغير ووجه كبير.
- جبهة صغيرة ومنحدرة.
- خط شعر متراجع.

.بثور في الجبهة والوجه.

- وجه وعر أو عميق التجاويف.
- آذان كبيرة نائثة.
- ضربات في مؤخرة الرأس وحول الأذن.
- عظام جبهة عالية.
- حواجب غزيرة تميل للالتقاء فوق الأنف.
- محاجر واسعة وعيون غائرة.
- أنف شبيه بالمنقار، أو أنف مسطح.
- خط فك حاد.
- شفاه ممثلة، مع كون الشفة العليا أنحف.
- أسنان قواطع كبيرة، وأسنان غير اعتيادية.
- ذقن صغير أو نحيف.
- أذرع طويلة.
- أصابع مستدقة أو فطسة.
- وشم على الجسد.

وبالإضافة إلى تلك الصفات العامة وقف لومبروزو على بعض الملامح العضوية التي تميز بين المجرمين. فالمجرم القاتل يتميز بضيق الجبهة، وبالنظرة العابسة الباردة، وطول الفكين وبروز الوجنتين، بينما يتميز المجرم السارق بحركة غير عادية لعينه، وصغر غير عادي لحجمهما مع انخفاض الحاجبين وكثافة شعرهما وضخامة الأنف وغالباً ما يكون أشولاً بالإضافة لتأثره الكبير بداروين والنظرية التطورية، يبدو لومبروزو أنه قد تأثر وطبيب النفس الفرنسي بفيديكت موريلو عالم التشريح المقارن بارتولو ميوبانيزا، والباثولوجي السويسري كارل بوكيتانسكي

في آخر أبحاثه قام لومبروزو لتحديد أنواع المجرمين وقسمهم إلى فئات مختلفة وذلك للانتقادات الشديدة التي تعرض لها في كيفية تحديد المجرم. هذه التقسيمات هي

- **المجرم بالفطرة:** هو الشخص الذي يمتلك سمات جسدية وعقلية بدائية تجعله "إنساناً بدائياً" يولد وفي داخله نزعة إجرامية.
- **المجرم المجنون:** هو الشخص المصاب بمرض عقلي يفقده القدرة على التمييز بين الخير والشر، مثل الصرع والسيكوباتية.

- **المجرم بالعادة** :هو شخص يعتاد على ارتكاب الجرائم بسبب ضعف أخلاقي وضعف في القدرات العقلية عندما يصادف ظروفًا اجتماعية سيئة.

- **المجرم بالصدفة** :هو شخص لا يمتلك ميلاً إجرامياً في الأصل، ولكنه يرتكب الجريمة بشكل عرضي بسبب ضعف في الوازع الأخلاقي أو نتيجة لظروف محيطة به.

- **المجرم بالعاطفة** :هو شخص يرتكب جرائمه تحت تأثير انفعالات قوية كالحسد أو الغيرة أو الحماس، وغالبًا ما يكون مصابًا بحساسية مفرطة .

تعرضت أفكار ونظريات سيزار لومبروزو إلى الكثير من الانتقادات للعديد من الأسباب لعل أهمها

- إن الحالات التي ركز لومبروزو جهوده عليها في تجاربه لم يكن أصحابها من الكثرة بحيث يمكن استخلاص قانون عام يمكن تعميمه وتطبيقه على جميع الحالات الإجرامية، وهذا من الأخطاء التي وقع فيها لومبروزو في صياغة نظريته.

- تركيزه على الجانب العضوي والمبالغة فيه كعامل للسلوك الإجرامي، وإهماله بل إنكاره تأثير العوامل الأخرى مادية، ثقافية، بيئية، واجتماعية، في فهم سلوك المجرم.

- اعتبار بعض المظاهر التي يحدثها أي إنسان فضلاً عن الإنسان المجرم علامة على كون محدثها مجرمًا، وذلك من قبيل إحداث الوشم وتحمل الألم لأجله، فهذا دليل - حسب قول لومبروزو - على عدم الإحساس بالألم، وبالتالي فإن عدم الإحساس بالألم من صفات المجرمين. وأيضاً استخدام اليد اليسرى علامة على السلوك الإجرامي.

لقد أسس لومبروزو نظريته التكوينية على مسلمة حتمية السلوك الإجرامي وإن معالجة ذلك الانحراف لا يتم بالعقاب لأن مرتكبها يفتقد لحرية الاختيار وإنما يتم مواجهة المجرم بالتدابير الاحترازية التي لا تكتسي طابع اللوم الأخلاقي ولا الإيلام ويتم ذلك بطريقتين : شل عوامل السلوك الإجرامي للمجرم أو باستئصال المجرم إذا ما ثبت أن خطورته الإجرامية موجودة فيه منذ الميلاد - انظر كتاب الياس-

بالرغم من الانتقادات الكثيرة التي وجهت لنظرية لومبروزو يظل هو المؤسس الأول لعلم الأنثروبولوجيا أو الإنسان المجرم كعلم مستقل تجاه العلوم الاجتماعية. أما نظريته البيولوجية في عوامل تكوين الظاهرة الإجرامية فهي أول دراسة استخدمت المنهج العلمي في تفسير الظاهرة الإجرامي

رافايل جاروفا لو: كان قاضي و أستاذ القانون الجنائي و أحد مؤسسي علم الإجرام الوضعي أول من استعمل مصطلح علم الإجرام جاعلا منه عنوان لكتابه الصادر في تورينو 1885 و الذي صدرت منه

الطبعة الثانية عام 1891 ، كما صدر له أيضا كتاب تعويض المجني عليه ، و هو صاحب التقسيم الثلاثي للجرائم إلى طبيعية و اصطناعية ، و اتفاه مع المدرسة الوضعية جاء بمحاولته الربط بين السلوك الإجرامي و بين الخصائص الخلقية و العضوية في شخصية المجرم ، و ذهب إلى أن العيوب التي تتوافر في عظم الفك السفلي تعد دليلا على العنف و الوحشية و أن الجزء السفلي من الرأس يمتاز عموما لدى الجرمين بزيادة في النمو عن الجزء الأمامي ، إلا أنه أخذ تلك النتائج بتحفظ.

أنريكو فيري: أستاذ للقانون الجنائي بجامعة تورينو ، وضع معظم أرائه في السوك الإجرامي في كتابه (الأفاق الجديدة للعدالة الجنائية و هو يتفق مع سابقه في القول بحتمية السلوك الإجرامي و استعمال المنهج التجريبي في دراسة الظاهرة الإجرامية ، و إرجاع السلوك الإجرامي في جزء منه إلى الناحية العضوية ، جاء بقانون الكثافة الجنائي.

-نظرية داروين

هي نظرية تشرح التطور البيولوجي طورها عالم الطبيعة الإنجليزي تشارلز داروين (1809-1882) ومعه علماء آخرون، تنصُّ على أنَّ جميع أنواع الكائنات الحية تنشأ وتتطور من خلال عملية الانتقاء الطبيعي للطفرات الموروثة التي تزيد من قدرة الفرد على المنافسة والبقاء على قيد الحياة والتكاثر، تسمى أيضاً النظرية الداروينية وقد تضمنت المفاهيم العامة لتغير الأنواع أو التطور واكتسبت قبولاً علمياً عاماً بعد نشر داروين كتابه أصل الأنواع في عام 1859، وتضمنت المفاهيم التي سبقت نظريات داروين. أشارت بعد ذلك إلى المفاهيم الخاصة بالانتقاء الطبيعي أو الهدف الرئيسي علم الأحياء الجزيئي على الرغم من أنَّ المصطلح يشير عادةً إلى التطور البيولوجي بشكل كبير، إلا أنَّ مؤيدي نظرية الخلق استعملوه للإشارة إلى أصل الحياة، وحتى أنهم طبقوه على مفاهيم التطور الكوني، وكلّى الفكرتين لا علاقة لهما بعمل داروين. لذلك يعتبر القبول بعمل داروين واصدقاءه بديلاً عن النظريات الأخرى بما في ذلك نظريات التصميم الإلهي والتبذر الشامل.

صاغ عالم الأحياء الإنجليزي توماس هنري هلسنكي مصطلح الداروينية في شهر نيسان عام 1860 واستخدمه لوصف المفاهيم التطورية بشكل عام بما في ذلك المفاهيم السابقة التي نشرها الفيلسوف الإنجليزي هربرت سبنسر، كان لدى الكثير من مؤيدي الداروينية في ذلك الوقت مثل هلسنكي بعض التحفظات على أهمية آثار الانتقاء الطبيعي، وقد أعطى داروين مصداقية لما سمّي لاحقاً لامايركية. اكتسبت الداروينية الجديدة التي طرحها عالم الأحياء التطوري الألماني أوغست فايسمان القليل من المؤيدين في أواخر القرن التاسع عشر. اقترح بعض العلماء خلال الفترة التقريبية من ثمانينيات القرن

التاسع عشر إلى عام 1920 والتي تسمى أحيانًا (فترة ظهور الداروينية) آليات تطورية بديلة مختلفة أُثبتت في النهاية عدم منطقيتها. وُجد الاصطناع التطوري الحديث في أوائل القرن العشرين، وتضمن الانتقاء الطبيعي مع علم الوراثة السكانية وعلم الوراثة المنديلية حيث قام بإحياء الداروينية في شكل جديد

بقي مصطلح الداروينية قيد الاستخدام بين الجمهور عند الإشارة إلى النظرية التطورية الحديثة وقال كَتَّاب العلوم مثل أوليفيا جودسون وإيجيني سكوت أنَّه مصطلح غير مناسب للنظرية التطورية الحديثة، على سبيل المثال: لم يكن داروين على دراية بعمل العالم المورافي غريغور مندل ونتيجة لذلك لم يفهم الوراثة بشكل دقيق. لم يكن لديه بطبيعة الحال أي توقع للتطورات النظرية اللاحقة، ومثل مندل: لم يكن يعرف شيئًا عن الانحراف الوراثي غالبًا ما يستخدم أنصار نظرية الخلق في الولايات المتحدة مصطلح (الداروينية) كتحقير في إشارة إلى معتقدات مثل الفلسفة المادية العلمية، ولا يوجد دلالات سلبية في المملكة المتحدة حيث يُستخدَم بحرية كاختصار لنظرية التطور، وللدلالة بشكل خاص على التطور عن طريق الانتقاء الطبيعي.

النظرية النفسية :

مايبرر القول بالعوامل النفسية في السلوك الإجرامي هو وجود أشخاص متشابهين تمامًا من النواحي العضوية ، الاجتماعية و الاقتصادية و غيرها من العوامل الخارجية ، و مع ذلك يقتصر السلوك الإجرامي على بعضهم دون الآخر و تتفق المدارس النفسية على أن السلوك الإجرامي هو نتيجة صراعات نفسية تحدث داخل الإنسان.

و قد عبر عن ذلك إيتان دوق ريف بقوله أن الإنسان هو المكان الذي تحدث فيه كثير من الأشياء البيولوجية و النفسية ، و أن تصرفاته ماهي إلا نتائج لما يحدث داخله

-المدرسة الكلاسيكية:

يرى فيري أن العوامل الاجتماعية ، البيئية و الثقافية ليست وحدها مسؤولة عن ظاهرة الإجرام لأنه لو كان كذلك لأصبح كل الناس مجرمين في مجتمع ما توفرت فيه هذه الشروط، فهو يسلم بوجود عوامل أنثروبولوجيا خاصة بشخصية المجرم بالإضافة لعوامل اجتماعية و بيئية خارجية

كما ذهب جارو فالو إلى أن المجرم ليس خلقه جسمانية شاذة و إنما نفس شاذة ينقصها الردع و الأمانة ، وتختلف الردع مصدر لجرائم الدم ، و غياب الأمانة مصدر جرائم الأموال ، و خلص إلى ان العقوبة لا تهدف إلى مجازاة المجرم ، و إنما المنع و ليس المنع العام.

ذهب دويري إلى التركيز على الجانب النفسي كعامل رئيسي للإجرام و أرجع الانحراف السلوكي إلى انحراف الغرائز و هي غريزة تكاثر، غريزة المحافظة على الجنس،... و كلها تكون معرضة للانحراف بالمبالغة في واحدة منها أو النقص الشاذ و هي العوارض التي تكون مسؤولة عن انحراف السلوك.

-مدرسة التحليل النفسي

أرجع السلوك الإجرامي إلى العوامل الفردية ، و لكن نفسية و ليس عضوية ، لم تأتي مدرسة التحليل النفسي لغرض تفسير السلوك الإجرامي فحسب و إنما كان هدفها تفسير السلوك الإنساني بصفة عامة سواء كان سويا أو منحرف ، عن طريق الكشف عن جانب لا شعوري في حياة عقلية الذي يحتوي ذكريات و الخواطر الماضية

الغاية من ذلك إيجاد التفسير المناسب للسلوك انطلاقا من فكرة أن كل مسلم يقوم به إنما هو تعبير صادق و نتيجة حتمية لما يكبت داخل نفسه .

-التداعي الحر: عندا يحاول الفرد التركيز على الاضطراب عاطفي تنبت في ذهنه أفكار طارئة تبدو عديمة المعنى للوهلة الأولى و لكنها في الحقيقة تمثل بداية مشكلة

-النفس ذات شهوة : تحتوي على الميول الفطرية و الاستعدادات الموروثة ، يتركز اهتمام هذه المرتبة على الانسياق وراء الشهوة ، إرضاء الغرائز بأية طريقة بغض النظر عن القيم و المبادئ التي تحكم المجتمع النبيلة

-الذات الشعورية : هي مجموعة من الملكات العقلية المستمدة من رغبات النفس بعد تهذيبها وفق لمقتضيات الحياة الخارجية ، يسعى لتحقيق توازن بين ميول فطرية و استعدادات موروثة